

فصل فى: الحاجة إلى كبير "من الاعتمادية الطبيعية إلى رحاب الناس"
(قراءة فى النفس البشرية (من واقع ثقافتنا الشعبية) الفصل الأول)



yehiatrakhawy@hotmail.com

نشرة "الإنسان" 2019/03/02
السنة الثانية عشرة - العدد: 4200

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

الفصل الأول:

فصل فى: الحاجة إلى كبير (2)

"من الاعتمادية الطبيعية إلى رحاب الناس"



المثل الرئيس:

"إلى مالوش كبير... يشتريلئه كبير"

(إلى مالوش كبير... يشتريلئه كبير)

علاقة الكبير بالصغير (وبالعكس) حكاية قديمة، قدم الوجود البشرى، أو قدم وجود الحياة ذاتها، وإلى يومنا هذا ومعالم هذه العلاقة لم تتضح بالدرجة الكافية، ثم جاء ما يسمى بعلم النفس الحديث، فأسهم إسهامات لا بأس بها فى تقنين الصراع بين الأجيال وتوصيفه، كذلك ظهرت إشاعات التربية الحديثة فسمحت بحركة أوسع، وحرية أوسع لمن هو صغير فى مواجهة الكبير، وكعادتنا، وبسبب اضطرار أمثله ظروف مرحلة تطورها (أو تخلُّنا!) أخذنا نردد، ونقلد، ثم نترجع، ثم يبدو أننا نقف على السلم الآن، نرقص أو نترنح (سواء)، ولكننا لا نصعد ولا نهبط ولا يراونا أحد.. ولكن يتربص بنا مصيرنا والتاريخ. المهم، تعالوا نبحث فى أوراقتنا القديمة والحديثة ثم ننظر أين نحن؟ وكيف؟ ثم ماذا؟، إلى أين؟! لعلنا نتحرك كما ينبغى!

يبدو أننا (3) مازلنا ندرك حاجتنا الشديدة إلى الكبير، بشكل ما، وأنا قبل وبعد الإغارة الغربية، مازلنا أقرب إلى كونفوشيوس منا إلى لاوتسو (4)، وإلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام منا إلى ابن نوح.

وهذا المثل يعلن عدة أساسيات يمكن أن ننظر فيها على الوجه التالى:

أولا: أننا كبشر - صغار مهما كبرنا - وتعبير "اللى مالوش" لا يقتصر على الصغير، بل يمتد إلى

كل من ليس له كبير بغض النظر عن سن شهادة الميلاد.

علاقة الكبير بالصغير (وبالعكس) حكاية قديمة، قدم الوجود البشرى، أو قدم وجود الحياة ذاتها، وإلى يومنا هذا ومعالم هذه العلاقة لم تتضح بالدرجة الكافية

جاء ما يسمى بعلم النفس الحديث، فأسهم إسهامات لا بأس بها فى تقنين الصراع بين الأجيال وتوصيفه

ظهرت إشاعات التربية الحديثة فسمحت بحركة أوسع، وحرية أوسع لمن هو صغير فى مواجهة الكبير

مازلنا ندرك حاجتنا الشديدة إلى الكبير، بشكل ما، وأنا قبل وبعد الإغارة الغربية، مازلنا أقرب إلى كونفوشيوس منا إلى لاوتسو، وإلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام منا إلى ابن نوح.

ثانيا : أن حاجتنا إلى الكبير هي حاجة أصيلة، لا يمكن الاستغناء عنها، أو حتى الاستسلام للعجز عن إشباعها، وهذا وذاك وارد دائما، وخاصة لو افتقرنا إلى مصادر إشباعها.

ثالثا : أن الكبير - إن لم يوجد طبيعيا أو تلقائيا - فإنه يمكن أن يُصنَّع تصنيعا (أو يُشترى شراء)، ليسد هذه الحاجة الأساسية.

رابعا: أن ثمَّ تناقضا بين أن يكون الكبير مُشترى، وبين أنه يقوم في نفس الوقت بدور الكبير القادر على تحمل الاعتماد، وتوجيه المسار. (5)

والمثل بهذا التركيز، وهذه الدقة، يذكرنا بأن معركتنا في سلسلة التطور ليست في التخلص من الحلقة السابقة (الوالد)، وإنما في الاعتماد عليها حتى تجاوزها دون الاستغناء عنها، أى بإعادة تنظيم العلاقات بحيث تأخذ مكانها المناسب في التركيب الجديد، فليس المطلوب هو أن يتحرر الإبن من أبيه، وإنما المطلوب في النهاية هو أن يصر الإبن - في الوقت المناسب - أن يكون قائد المسيرة بأبيه - وليس بالرغم منه، ولا تحت أمره، ولا بدونه - مكمِّلا حلقات التطور المتداخلة إلى من يليه.. (يليهما) هكذا.

فإذا رجعنا إلى المثل وجدناه يعلن عن الحاجة إلى الكبير، دون تقديس له أو انسحاق تحته، بل هو يشير إلى تفوق واع، فالمشترى عادة هو تحت أمر وإذن الشاري لغرض ما، إذ لا يعقل - من حيث المبدأ - أن يكون ما أشتريه هو سيدى وقائدى، حيث أن فعل الشراء نفسه يضعه في حجمه المتواضع، ولأنَّ أشتري لى كبيرا أتوكأ عليه، وأستعمله فى حوارى ومسارى، لهو أمر يحمل معنى أنى (الشارى) أنا القائد، وفى نفس الوقت أنى أحتاج إلى شراء هذا الكبير وأنا قادر على ذلك، لماذا؟ لأستمر به إلى ما هو بعدنا: هو وأنا، (6) اللهم إلا إذا اضطرب المسار واهتزت القوانين، وطغى المُشترى بعد أن تمكن (وهذا وارد أيضا، تاريخا، وفعلا).

ثم يأتى موضوع شراء الكبير فى الصداقة والعلاج النفسى وفى رحاب مشايخ الطرق، والشراء فى المثل (وفى الحياة) لا يستلزم بالضرورة مقايضة مادية: مالا محددا، وأبسط أنواع المقايضة التى تجرى بالاعتمادية المتبادلة، يكون فى الصداقة، فصديقى هو كبيرى لأنه ناصحى ومستشارى وملجئى ورفيقى، وأنا له كذلك، واحدة بواحدة، أو لعل ثمَّ (صديق) ثالث يقوم لأىِّ منا بدور الكبير وهكذا، أى أن عقد شراء صداقة قد لا يكون بين اثنين فحسب، بل بين مجموعة من الناس تتبادل الشراء دون علم أفرادها بطبيعة الصفقة (7) وحسابات المكسب والخسارة، وشراء الصداقة يشمل شراء الكبير.

هوامش

[1] الفصل من كتاب "قراءة فى النفس البشرية" (من واقع ثقافتنا الشعبية) (ص 11- ص 13) (الطبعة الأولى 1992، والطبعة الثانية 2017) والكتاب متاح فى مكتبة الأنجلو المصرية وفى منفذ مستشفى دار المقطم للصحّة النفسية شارع 10، وفى مركز الرخاوى: 24 شارع 18 من شارع 9 مدينة المقطم، كما يوجد أيضا بموقع المؤلف www.rakhawy.net وهذا هو الرابط

[2] مجلة الإنسان والتطور "مثل وموال" (علم بالنفس: من أقوال الناس) عدد يناير 1985

[3] - أعنى مصر والمصريين أساسا، ثم بعض ما هو عربى، ثم عمق ما هو إنسانى

أن حاجتنا إلى الكبير هي حاجة أصيلة، لا يمكن الاستغناء عنها، أو حتى الاستسلام للعجز عن إشباعها

أن الكبير - إن لم يوجد طبيعيا أو تلقائيا - فإنه يمكن أن يُصنَّع تصنيعا (أو يُشترى شراء)، ليسد هذه الحاجة الأساسية

أن معركتنا فى سلسلة التطور ليست فى التخلص من الحلقة السابقة (الوالد)، وإنما فى الاعتماد عليها حتى تجاوزها دون الاستغناء عنها

ليس المطلوب هو أن يتحرر الإبن من أبيه، وإنما المطلوب فى النهاية هو أن يصر الإبن - فى الوقت المناسب - أن يكون قائد المسيرة بأبيه - وليس بالرغم منه، ولا تحت أمره، ولا بدونه

لأنَّ أشتري لى كبيرا أتوكأ عليه، وأستعمله فى حوارى ومسارى، لهو أمر يحمل معنى أنى (الشارى) أنا القائد، وفى نفس الوقت أنى أحتاج إلى شراء هذا الكبير وأنا قادر على ذلك، لماذا؟

موضوع شراء الكبير فى الصداقة والعلاج النفسى وفى رحاب مشايخ الطرق، والشراء فى المثل (وفى الحياة) لا

- [4] يقف هذان الحكيمان الصينيان في هذه المسألة على طرفين متناقضين، فبينما يمثل كونفوشيوس ضرورة الأستاذية ودقة التعاليم، يمثل لاوتسو أصالة الحرية وطلاقة الفطرة والثقة بالنمو الذاتي، وهما معاصران لبعضهما دون تناقض، بل لعلهما يكمل أحدهما الآخر.

- [5] يمكن مراجعة تاريخ الممالك وحركة تصعيدهم من "شرايهم" إلى تعيينهم "حكاما"، كذلك عبدة الأوثان، ينحتون الحجر ثم ينحنون أمامه تقديسا

- [6] لاحظ أن الاستمرار هكذا قد تخلص من التبعية إلى الجدل الخلاق للاثنين معا.

- [7] هذا هو روح ما يجرى فعلا في "العلاج الجمعي" الذي نمارسه، وهو ما أعدت صياغته في مواقع أخرى من منطلق حركية الوعي البينشخصي، ثم الجمعي، ثم الجماعي، إلى ما بعد ذلك 2017www.rakhawy.net

أبسط أنواع المقايضة التي
تجرى بالاعتمادية المتبادلة،
يكون في الصداقة، فصدقي
هو كبيرى لأنه ناصى
ومستشارى وملجئى ورفيق
طريقي

إرتباط كامل النص:

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD020319.pdf

*** **

مؤسسة العلوم النفسية العربية

*** **

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رفيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

سلسلة الكتاب العربي " نفساني " (اصدارات مكتبية محكمة في علوم وطب النفس)

59 (خريف 2018) الإصدار

الموجز العربي للصرح للتميمي - أ.د. سداد جواد التميمي

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=16&controller=category&id_lang=3

<https://www.facebook.com/NafssanyBook/>

مجلة " بسانر نفسانية " (المستجدات العربية في علوم وطب النفس)

العدد 21 - 22 (صيف - خريف 2018)

" علم النفس الإيجابي و النشاط البدني التروبيجي "

- اشرفه على الملوف: أ.د. مرعي سلامة بونس (مصر)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=25&controller=category&id_lang=3

www.facebook.com/BassaaerNafssania-Magazine-259758497705299/

الكتاب السنوي 2019 ل " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار السادس)

الشبكة تطفي شمعتهما الثامنة عشر وتدخل عامها التاسع عشر من التأسيس

18 عاما من الضج... 15 عاما من العطاء "

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>